





الشيخ لم يراجع التفريغ





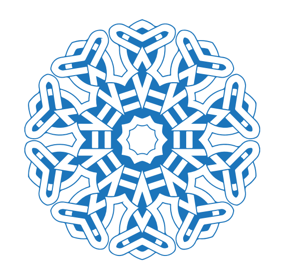
00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ



منافع



لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة الأكارم- فإنَّ في حج بيت الله العظيم والوفادة إليه جَلَّ وَعَلَا أجورًا كبيرةً للحجيج والمعتمرين لا يعلم منتهاها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنَّهم وفد الرحمان وضيوفه، وهو الكريم الجواد جَلَّ وَعَلَا يقول ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨] فبيَّن الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ الذين يقصدون بيته بالحج فإنَّهم سيشهدون منافع لهم إذ اللام في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ للتعليل **أي**: ليحضروا منافع تحصل لهم بالحج، والمراد بحضورهم للمنافع حصولها لهم فكنَّا عن تحصيل المنافع بشهودها.

والمنافع -أيُّها الإخوة- التي وعد الله عَزَّ وَجَلَّ الحجيج هي جمع منفعةٍ وإنَّما نُكرت للتعظيم والتكفير، إذ لا يُعرف ما وعد الله من المنافع على التعيين، وهذا من شرف الحج وفضل الله عَزَّ وَجَلَّ على الحجيج وقاصد بيته الحرام.

هذه المنافع والمصالح المتحقِّقة بالحج كثيرة فبعضها خاصٌ للحاج نفسه، وبعضها عامٌ للجميع، كما أنَّ بعض هذه المنافع **دينيٌ** وبعضها **دنيويٌّ** قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قول الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ قال: «منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة» وإنَّ أجلَّ

فوائد الحج ومنافعه للنَّاس ما يتحقق لأفراد الحجيج ممَّا وعدهم الله من الثواب والمغفرة لكلِّ حاج.

❁ **ولا شكَّ أنَّ أهم المنافع في الحج المنافع الأخروية**، وقد جعل الله ثواب الحاج عنده عظيمة فهو يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقد ثبت في الصحيح أنَّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ إِلا الْجَنَّةُ»**، وإضافة لهذا الفضل الجليل لحاج بيت الله الحرام وقاصده في الآخرة فإن من كرم الله وجوده وامتنانه على عباده أنَّه يجزيهم في الدنيا جزاءً يرونه في معاشهم، إضافةً لثواب الآخرة عنده.

❁ **ومن أجل منافع الحج في الدنيا**: ما يتحقق لعمومهم من الاجتماع والائتلاف، وفي ذلك صلاحٌ في الدنيا بالتعارف والتعامل، ووحدة الكلمة واجتماع القلوب.

❁ **ومن منافعه الدنيوية**: أن يبتغي الحاج التجارة في أيام الحج والرِّبح فيها قد قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] فدلَّ على أنَّ الحاج يجوز له أن يعمل بالتِّجارة، وأن يشتغل بالبيع والشِّراء تبضُّعًا وإتجارًا، وكثيرٌ من الحجيج لا يعود بحجه إلا بشيءٍ من ذلك إمَّا بضاعةً باعها أو هديةً اشتراها فكان من رحمة الله جَلَّ وَعَلَا بنا أن أباح ذلك لنا.

❁ **وإنَّ من منافع الحج في الدنيا**: ما أباح الله للحجيج من أن يأكلوا من لحم البن والذبائح التي تُذبح يوم النحر تقرُّبًا لهم جَلَّ وَعَلَا كما قال سبحانه: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ فهدي التمتع والقران، وما يُهدى للبيت تطوعًا يجوز للمسلم أن يأكل منه، وأن يحمله معه خارج البيت بخلاف الدم الذي شُرع جبرًا لترك واجبٍ أو فعل

محضور، فإنَّه لا يأكل منه كما قال سبحانه: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

۞ **ومن المنافع الدنيوية للحج لعموم الحجيج**: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُخلف عليهم نفقتهم وما بذلوه من مؤنة الحج، وقد روى الترمذي وصححه من حديث ابن مسعود أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ**»، وفي روايةٍ من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عند أبي يعلى في المسند أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ مُتَابَعَةَ مَا بَيْنَهُمَا تَنْفِي الْفَقْرَ، وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**» وذلكم -أيُّها الأكارم- أنَّ الحج عبادةٌ ماليةٌ وبدنية، وقد وعد الله من يبذل ماله في سبيل الله وعده مرضاته جَلَّوَعَلَا وأن يبدله خيرًا منها قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ [الحديد: ١١].

وقد أمر الله بإنفاق الله في سبيله فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال ابن عباس: «الحج في سبيل الله» ولذا كانت النَّفقة في الحج وله أفضل من الصدقة بمثلها، فمن استرخص المال في سبيل الله، وبذله في سبيله حاجًا أو معتمرًا، من غير إسرافٍ ولا مخيلة فإنَّ الله جَلَّوَعَلَا يُخلف عليه ماله، ويقضي دينه وينفي الفقر عنه فقر قلبه، وفقر يديه.

۞ **ومن منافع الحج في الدنيا**: أنَّ الله يخلف على العبد في وقته بدلها فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عامر عن أبيه أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ مُتَابَعَةَ بَيْنَهُمَا تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ**» ومعنى الزيادة في العمر أحد أمرين وكلاهما صحيح:

❁ **أولهما**: أنَّ الله يمد في عُمر الحاج ويزيد فيه، ويؤجل موته وهذا المعنى جاء عن غير واحدٍ من الصحابة كعمر وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد أجمع على صحته في الجملة أهل العلم.

❁ **والمعنى الثَّاني**: أنَّ الله يبارك في وقت الحاج والمعتمر، فينجز بعد ذلك في الأيام القلائل ما لا ينجزه غيره في الأيام الكثيرة، وهذا الجزاء من الله هو من جنس عمل العبد فإنَّ الحاج في حجه، والمعتمر في عمرته يبذل مالًا ويُمضي أيامًا وأوقاتًا منقطعًا عن النَّاس، مقبلًا على العبادة، منجمعًا على نفسه، فيبدله الله بدل ماله الذي أنفقه نفي الفقر عنه، وسداد الدَّين، وبركة المال، ويبدله سبحانه بدل الأيام التي أمضاها في الحج والاستعداد له، والرَّحيل يبدله الله مدًا في عمره وبركةً في وقته، فلا غرو -أيُّها الأكارم- بعد ذلك أن يكون من استثقل الحج مع قدرته وسعة وقته مؤثرًا شغلًا، أو شاحًا بمال أن يكون محرومًا لهذه المنافع الكبيرة في الآخرة والدنيا روى ابن حبان بإسنادٍ صحيح أنَّ أبا سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ الله جَلَّ وَعَلَا: إن عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، تَمْضِي عَلَيْه خَمْسَةُ أعْوَامٍ لا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ**».

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد [١] **.**



(١) نهاية المجلس الأول.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ من نعم الله عَزَّ وَجَلَّ على العبد أن يمدَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عمره حتى يدرك العبد المواسم الفاضلة، ثمَّ يُنعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليه بأن يوفقه على العمل فيها بما يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ ويرضاه، روى الإمام أحمد عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**» **قَالُوا وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ:** «**وَفَّقَهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ**».

وإنَّ من أعظم المنافع التي تتحقق في هذه الأيام للعباد أن يمدَّ الله عَزَّ وَجَلَّ في أعمارهم حتى يدركوا هذه الأيام الفاضلة، ثمَّ يوفقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للعمل الصالح فيها ويستعملهم الله عَزَّ وَجَلَّ فيها، فإن كان العبد ممن وُفق لحج بيت الله الحرام فإنَّه يكون ممن جُمع له الخير بطرفيه، وجُمع له المنَّة من جميع جوانبها -أيُّها الإخوة- إنَّنا في أيامٍ فاضلة وأوقاتٍ جليلة تكاد أن تكون أفضل أيام العام قال كعب الأحبار: «اختار الله الزمان فأحب الزمان إلى الله الأشهر الحرم وأحب الحرم إلى الله ذو الحجة، وأحب ذي الحجة إلى الله العشر الأول» ويدلُّ على تفضيل هذه الأيام ما روى ابن خزيمة وابن حبان عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَفْضَلُ الأَيَّامِ أَيَامُ الْعَشْرِ -يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ- قِيلَ: وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللهِ إلاَّ رَجُلٌ عُفِّرَ وَجْهُهُ بِالتُّرَابِ وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ**».

❑ **وقد ذكر ربُّنا جَلَّ وَعَلَا في كتابه هذه الأيام لفضيلها في موضعين:**

۞ **أولها:** في سورة الحج فقال سبحانه: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] وأقسم الله عَزَّوَجَلَّ بها في سورة الفجر فقال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ الفجر: [١ - ٣] **قال الضحاك بن مزاحم:** «الليالي العشر هي عشر الأضحى أقسم الله بهن لفضلهن على سائر الأيام».

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ العمل الصالح في هذه الأيام من أفضل الأعمال، وآجرها ثوابًا عند الله حتى لقد عُدلت عنده سبحانه بمن بذل ماله ونفسه في سبيله، روى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**».

فمطلق العمل الصالح في عشر ذي الحجة أحب إلى الله، وأفضل عنده من سائر الأعمال في غيرها، ممَّا يدل على أنَّ العمل المفضول في الوقت الفاضل يزيد لمضاعفة ثوابه وأجره.

۞ **وممَّا يلزم المؤمن في هذه الأيام** أن ينظر للأعمال التي تستحب وتتأكد فيه، فإنَّ من الأعمال التي تستحب وتتأكد بخصوصها في هذه الأيام الفاضلة صوم الأيام التسعة منه، روى أبو داوود عن بعض أزواج النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه كان لا يدع صيام تسع ذي الحجة ورواه الإمام أحمد في المسند من حديث حفصة، وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يصومون هذه الأيام كابن عمر وغيره، **قال الحر بن الصياح:** «جاورت مع ابن عمر

رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا فرأيته يصوم العشر»، وأفضل صيامٍ في هذه الأيام العشر صيام يوم عرفة لقول النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**» رواه مسلم.

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا كما في مسلم أيضًا أنَّ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ**».

❁ **وإنَّ ممَّا يستحب في هذه الأيام -أيُّها الإخوة-** الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وعدم فتور اللِّسان من ذلك، فقد أمرنا الله في كتابه بذكره في هذه الأيام فقال: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨] والأيام المعلومات هي العشر من ذي الحجة، وقد دلَّنا النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأفضلية الذكر في هذه الأيام فروى الإمام أحمد عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ**» وكذا كان صحابته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يفعلون ذلك مستنِّين به، منتثلين أمره.

في صحيح البخاري أنَّ ابن عمر وأبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا كان يخرجان في السوق في العشر فيكبِّران ويكبر النَّاس بتكبيرهما، فحين ذلك -أيها الأخ الكريم- نصَّ أهل العلم على استحباب التكبير المطلق في هذه الأيام العشر في الأسواق والبيوت، وفي الطرقات وعلى الفُرش.

❁ **ومن العبادات الفاضلة في هذه الأيام العشر** -بل هو من أفضل العبادات- التقرب إليه جَلَّوَعَلَا بإنهار الدم، وإهراقه بذبح الأضحية في يوم العيد، أو أيام التشريق بعده، وقد

رُوي عند ابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِقُرُونِهَا، وَأَظْلَافِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ، لَيَقَعُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا**».

وروي أيضًا عند ابن ماجه من حديث زيد بن أرقم أنَّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: **يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟ قَالَ:** «**سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**» **قَالُوا: فَمَا لَنَا فِيهَا يا رسول الله؟ قَالَ:** «**بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ**» **قَالُوا: فَالصُّوفُ؟ قَالَ:** «**بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ**».

۞ **وإنَّ ممَّا يلزم في هذه الأيام لمن أراد الأضحية** أن يمسك عن شعره وضفره فلا يأخذ منهما شيئًا في صحيح مسلم عن أم سلمة أنَّ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ**» فمن أراد الأضحية فإنَّه يمسك عن قص الشعر وتقليم الأظافر كحال من تلبَّس بالإحرام، وإنَّما يلزم الإمساك لمريد الأضحية دون وكيله في الذبح ودون أهل بيته فإنَّه لا يلزمهم الإمساك عن الشَعَر والظفر.

۞ **وأمَّا أفضل ما يُفعل في هذه الأيام على الإطلاق** فهو قصد بيت الله الحرام، وحجه والتَّنقل بين مشاعره ذلك حينما يقطع المرء علائقه إلا بالله، فيدع أهله ووطنه ابتغاء قصد الله، وابتغاء قصد بيته، ورجاء رحمته، وخوفًا من أليم عذابه، ومحبَّةً لمولاه، ترك راحة المقام، وأنسَ الدعى، وأنس السكن، وهجر أثير الفُرش، فتراه أشعث مغبرًا، يلبس من الثِّياب أقلَّها، ويكتفي من الطعام والزاد بأهونه، يلهج لسانه بذكر الله، ولا يفتر عن التلبية والتكبير والتهليل والدعاء، روى الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**قَامَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولَ**

اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فَقَالَ: مَن الْحَاجُّ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: الشَّعِثُ التَّفِلُ، فَقَامَ آخَرُ قَالَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْعَجُّ وَالثَّجُّ**» العج هو رفع الصوت بالتلبية والتكبير وذكر الله، وأمَّا الثج فهو إهراق الدم وإسالته كما ذكر أهل العلم.

-أيُّها الإخوة الأكارم- هنيئًا لمن وفقه الله عَزَّوَجَلَّ لحج بيته، وقصد عتابه، روى ابن حبان أنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ فِي بَدَنِهِ وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ تَمُرُّ عَلَيْهِ خَمسَ سِنِينَ ثُمَّ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ**» إنَّ هذه الأعمال الفضائل هي التي من فعلها مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ ممتثلًا أمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيها لهو الحقيق بتحصيل أعظم منافع الحج، وأجلِّها أجرًا وأعظمها مثوبا.

وإنَّ من لم يستطع عامه هذا بالحج فليشابه الحجيج بحفظ لسانه عن الحرام، وإشغاله بذمر الله والتكبير والتهليل، وليشابههم بذكر الأضحية وإهراق الدم، فمن تشبه بقومٍ كان منهم، وفي صحيح البخاري عن أنس أنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ**».

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد،
وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد [٢] .



(٢) نهاية المجلس الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ من المنافع التي تتحقق لمن شهد الحج ما يتصف به الحاج من شَعَثِ شعره، واغْبِرَارِ قدمه، وهذه الصِّفة صفةٌ لازمةٌ لتعبه، وتركه التَّرفه، وملاذ الدنيا ابتغاء ما عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الصِّفة صفة مدحٍ في الحاج أثنى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من اتصف بها، روى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قام رجل إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: من الحاج يا رسول الله؟ قال: «**الشَّعِثُ التَّفِلُ**»، **والشَّعث هو**: من اغبرَّ رأسه ولم يرجِّله، إذ الشعث انتشار الشعر وتغيره لعدم تعهده، **والتَّفل هو**: الذي ترك استعمال الطيب.

-أيُّها الإخوة- إنَّ هذه الصِّفة في الحاج هي من المنافع له، إذ هذه الصفة صفةٌ في المؤمنين فإنَّهم ليسوا بالمتنعمين روى الإمام أحمد عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ**» هذه الصِّفة وهي كون المرء شعثًا تفلًا هي التي يكون عليها الحاج دلالةً على تركه التنعم وهي صفة أول من يرد على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضه، ويدخل جنة ربه جَلَّ وَعَلَا روى الترمذي من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أول الناس ورودا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقراء المهاجرين الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد**» هذه الصفة التي يتصف بها الحاج فيها منفعةٌ كبيرةٌ له بتركه

التنعم والترفه، ولذا كان النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصـي بها المسـلمين عمومًا، وما زال أعلام المسـلمين يوصـون بذلك روى الترمذي في السـنن وابن حبان بإسـنادٍ صـحيح وأصـل الحديث في مسلم عن أبي عثمان النهدي قال: «**أتانا كتاب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر فيه وصـية وكان مما فيها أمَّا بعد فتمعددوا واخشـوشـنوا واخلولقوا وامشـوا حفاتا واقطعوا الركـب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الأغراض وامشـوا ما بينها وعليكم بلباس أبيكم اسماعيل وإياكم والتنعم وزي الأعاجم وعليكم بالشمس فإنَّها حمام العرب**».

-أيُّها الإخوة الأكارم- هذه الوصـية العمرية هي وصـيةٌ أبوية، ونصـائح صـادقةٌ كتبها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الآفاق وبثَّها فيهم لينشـأ النَّاس على هدى وسـنة، وتوفيقٍ وسـداد، وقد صـح عن النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**اقتدوا بالذين من بعدي**» وصـح عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**لو كان في هذه الأمة محدثون لكان عمر**» لذا كان عمر موفقا في مقوله ومنطوقه.

وقد روي عند الترمذي أنَّ الله جعل الحق على لسان عمر ولنقف قليلًا مع هذه الوصايا العمرية وقفاتٍ يسيرة لنعرف أثرها وأصـلها فمن وصـيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «**اخشـوشـنوا**» **أي:** عليكم بالخشونة إذ الترف والترفه مذمومان في الرجال، فلا يمدح رجل قط بنعومةٍ ولا بنعمة، وإنَّما هو وصـف مدحٍ للنسـاء، ولذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ عنهن: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ [الزخرف: ١٨] **قال الألوسـي**: «والآية ظاهرةٌ في أنَّ النشـور في الزينة والنعومة من المعايب والمذام في الرجال وأنَّه من صـفات ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، وأن يأنف منه، ويربى بنفسـه عنه، ويعيش كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن أراد أن يزيِّن نفسه فليزينها بلباس التقوى».

-أيُّها الإخوة الأكارم- لقد خاف عمر على الناس الترفه بعد كثرة المال وفيوضـه بين

أيديهم إثر الفتوحات الإسلامية لأصقاع المعموة، ذلك أنَّ الترفه الزائد والتنعم المبالغ فيه خلاف هدي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين معه، وقد ذكر الله جَلَّ وَعَلَا أنَّهم وصفهم في الإنجيل بأنَّهم ليسوا بأهل تنعمٍ ولا ترفه يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩] فهم قد استغلظوا واستووا على سوقهم، يشد بعضهم بعضا فأبان الله أنَّ المشركين إنَّما يرهبهم من المسلمين استغلاضهم **أي**: تقشفهم وشدتهم، ومؤازرة بعضهم بعضًا، وقد أمرنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقتدي بأصحابه عمومًا ومن ذلك هديهم بالتقشف وترك الترفه، فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر واقتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود قلت: ما هدي عمار؟ قال: التقشف والتشميس**».

وروى الإمام أحمد عن معاذٍ رفعًا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين**» فقوله: أعني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اخشوشنوا**» **أي**: اتركوا الترفه في حياتكم ومعاملتكم، وقد روي: «**واخشوشبوا**» **قال أبو إسحاق الحربي**: «**أي**: كلوا الغليظ من الطعام»، والمقصود بذلك ترك التنعم والترفه، وليس المقصود لبس المرقع ولا لبس أرخص الثِّياب وأقلِّها، وإنَّما هو التوسط فلا يكون المرء مبالغًا في لباسه ولا في طريقته في حياته، ولذا ثبت عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**البذاذة من الإيمان**» **قال سفيان راوي الحديث**: «**يعني**: التجوز في الملبس والمطعم ونحو ذلك».

ومن وصية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك قوله: «واحتفوا» **أي**: امشوا حُفاتًا، وهذا داخلٌ في

الاستخشان، وقد كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحتذي أحيانًا ويأمر بالحفاء، والأكثر من حاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه كان يمشي متنعلًا.

وقد روى البزار بإسناد الرجال وهم ثقات عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي حافيا وناعلا» وروى أبو داوود عن فضالة بن عبيدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه لمَّا كان أميرًا بمصر قال له بعض أصحابه: «لا أرى عليك حذاءً قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا أن نحتفي أحيانًا» وقال ابن عمر: «احتفوا وامشوا فإنَّ أحدكم لا يدري لعله سيبتلى».

ومن وصيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك قوله: «**تمعددوا**» ومعناه **أي:** تشبهوا بمعد بن عدنان وهو جد العرب وإليه ينتهي نسب النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **قال أهل العلم**: والتشبه بمعد بن عدنان يكون في **ثلاثة أمور**:

☜ **أحدها**: في تقشفه وتركه التنعم، ولذا فإنَّ العرب تقول: تمعدد الغلام إذا شبَّ وغلظ.

☜ **والمعنى الثَّاني**: التمعدد يكون بالتشبه به في لباسه، ويشهد لهذا ما في الحديث الآخر: «عليكم باللبسة المعدية» **أي:** الزموا لباس العرب فالسنة لباس العرب، والحرص عليه قدر المستطاع وتنشئة الأبناء على محبته ولزومه، **ولذا قال عمر في وصيته السابقة:** «عليكم بلباس أبيكم إسماعيل وإياكم والتنعم وزي العجم» وإن من زي العرب ما يلبسه الحجيج في مقامهم هذا من إزار ورداء فإن هذا من زي العرب الذي يستحب للمرء لبسه حال الحج والعمرة، وأما ما عدا ذلك من المواسم فإن زي العرب يختلف باختلاف

عاداتهم وأعرافهم كما قرره الشيخ تقي الدين -عليه رحمة الله- باقتضاء الصراط المستقيم.

☜ **والمعنى الثَّالث**: التشبه بمعد بن عدنان في فصاحته وكلامه العربي وعدم حديثه بالعجمة، ولذا فإنَّ العرب تفخر بلسان معدٍ وبيانه، فتعلم البيان واللغة من الدين، وقد جاء في الأثر: «أفضل العجم أشبههم بالعرب وشر العرب أشبههم بالعجم».

ومن وصيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك قوله: «وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب» فمن الطباع العربية الأصيلة أنَّهم لا يأنفون من الشمس، ولا يتأففون من الجلوس تحتها فإنَّ بلادهم أقوى البلاد شمسًا، وأحرها قيضًا، وأشدها رمضاء، وفي شدتها صحةٌ للبدن فهي حمام العرب بها يعرقون وتصح أبدانهم كما قال عمر، وبسببها اكتسبوا الأدمة في اللون والتي تغنوا بها واستحسنوها في أشعارهم، وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اقتدوا بهدي عمار**» **قال حذيفة**: «هدي عمار كان التقشف والتشميس»، وليس المقصود بالتشميس ملازمة الشمس وترك الظل فإنَّ هذا منهي عنه كما في حديث أبي إسرائيل، وإنَّما المقصود النهي عن الترفع والجلوس والمرور تحت الشمس صيفا وشتاء خوفًا من اسمرار البشرة أو تغير السحنة فإنَّ هذا من الترفه المذموم.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد،

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (٣) **.**



---

(٣) نهاية المجلس الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ من أجلِّ المقاصد التفكر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والتأمل في معانيه، وإنَّ ممَّا يحققه ويزيده أن يستشعر الآيات في محلِّها، والحاج إذا نظر لبيت الله ثمَّ قرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٣٠] إذا قرأ الحاج تلك الآيات في ذلك الموضع فإنَّه سيجد من المعاني والدلائل ما لا قد لا يجده في غير ذلك الموضع.

❋ ولنا في هذه الآيات الكريمة والدعوات الإبراهيمية وقفاتٌ ومسائل:

الوقفة الأولى: في قصة بناء الكعبة وعمارتها، **قال ابن عباس**: «أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت، عند دوحةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثمَّ قفَّ إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب

وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شـيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: ألله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضـيعنا ثمَّ رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه اسـتقبل بوجهه البيت ثمَّ دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه لله فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وجعلت أم إسـماعيل ترضـع إسـماعيل، وتشـرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السِّـقاء عطشـت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبلٍ في الأرض يليها، فقامت عليه ثمَّ استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلن ترى أحدًا، فهبطت من الصـفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذرعها، ثمَّ سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثمَّ أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم ترى أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فذلك سعي النَّاس بينهما**» فلمَّا أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت صه تريد نفيسها، ثمَّ تسمعت فسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضـع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضـه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سـقائها وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارحم الله أم إسـماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا**» قال: فشـربت وأرضـعت ولدها فقال لها الملك: «لا تخافوا الضـيع فإنَّها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإنَّ الله لا يضـيع أهله، وكان البيت مرتفعًا عن الأرض [..] تأتيه السـيول فتأخذ عن يمينه وشـماله، فكانت كذلك حتى

مرت بهم رفقةٌ من جرهم مقبلين في طريق كذا، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا: إنَّ هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء قالوا: نعم، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فألفى ذلك أم إسماعيل**» وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبياتٍ منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلمَّا أدرك زوجوه امرأةً منهم.

وماتت أم إسماعيل فجعل إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثمَّ سألها عن عيشهم وهيأتهم فقالت: نحن في ضيقٍ وشدة فشكت إليه، قال إبراهيم: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغيِّر عتبة بابه، فلمَّا جاء إسماعيل كانه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد قالت: نعم جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته وسألنا كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهدٍ وشدة، قال: فهل أوصاك بشيءٍ؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيِّر عتبت بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما شاء الله، ثمَّ أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيأتهم فقالت: نحن بخيرٍ وسعة وأثنت على الله فقال ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه**» قال:

فهما لا يخلوا عليهما أحدٌ بغير مكة لا لم يوافقاه قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه، فلمَّا جاء إسـماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شـيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبت بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك، ثمَّ لبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثمَّ جاء بعد ذلك وإسماعيل يبني نبلا له تحت دوحةٍ قريبةٍ من زمزم، فلمَّا رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثمَّ قال: يا إسماعيل إنَّ الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرم ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧] قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

الوقفة الثَّانية: في قول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] -أيها الإخوة- إنَّ هذه الدعوة من إبراهيم تدل على أنَّه لا ينفع امرَأً عمله قط ما لم يكن موحدًا لله مستسلمًا له بالعبودية والطاعة، ولذا بدأ إبراهيم سؤال ربه التوحيد قبل سؤال معرفة المناسك، إذ أنَّ من أشرك بالله ولم يوحده لو جاء بملأ الأرض عملًا صالحًا فلن ينفعه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

ﭽ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﭼ [آل عمران: ٨٥] وقال سبحانه: ﭽ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﭼ [النساء: ٤٨] فمن حج وقصد البيت بجسده وهو قاصدٌ بقلبه غير الله إمَّا [..] أو وليًا صالحًا ونحو ذلك، فما حج ولكن حجة العير فليلزم من قصد بيت الله أن يخلص عبادته لله تعالى قبل كلِّ شيءٍ وبعده.

والوقفة الأخيرة: مع دعاء إبراهيم ربه ﭽ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﭼ [البقرة: ١٢٨] فمناسك الحج وأفعاله تشريعها بتوفيقٍ من الله وشعائرها وأفعالها بوحي منه سبحانه يعتمد فيها النقل، ولا يُعمل فيها بالعقل فهي اتباعٌ لا ابتداع، ومتابعةٌ لا رأي فلذلك فإنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: «**خذوا عني مناسككم**» فبيَّن مناسك الحج بفعله ومقاله وركبه أصحابه في كل صغيرٍ وكبيرٍ من أفعال المناسك فحاكوه فيها وتتبعوا سننه أتم المتابعة قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «**لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه**» وكذلك مناسك الحج -أيُّها الإخوة- لو كان بالرأي لتُرك كثيرٌ من شعائره وأبطلت جل مقاصده، وإنَّما هو النَّقل والوحي والسُّنة.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يمن علينا بالهدى والتقى، وأن يتقبل منا أعمالنا وأن يعيننا على طاعته، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (٤).



(٤) نهاية المجلس الرابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ من منافع الحج التي أمر الله باستشعارها عند دخول مكة ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ مخاطبًا قريش فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ - ٤] فهو خطابٌ لهم خاصة، ولكلِّ من دخل البيت عامة أن يستشعروا عِظم هذا البيت العظيم وعِظم ربِّه جَلَّ وَعَلَا بأفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته، والتي منها أنْ ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

-أيُّها الإخوة- لقد ذكر لنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثٍ عجيب ثلاث نعمٍ هي أجلُّ نعم الدنيا للعبد، وأكثرها حاجةً له ومساسًا به، حقيقٌ بمن تأمل هذا الحديث ونظر فيه نظر المعتبر أن يعرف نعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليه، وأن يزن الأمور بميزان قسطٍ عند اشتباهها، روى الترمذي وحسنه وابن ماجه أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**».

هذا الحديث -أيُّها المستمعون الأكارم- حريٌّ أن يتأمله النَّاشد لنعم الله، الطالب لها، فإنَّ كلَّ مالٍ وإنعام فإنَّما هو فضلٌ بعد هذه الثلاث: ملكه قوته، وصحته في بدنه، وأمنه في سربه.

لقد ذكر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ من اجتمعت له هذه النِّعم الثَّلاث فقد جُمعت له نعم

الدنيا بحذافيرها مهما فاته منها، أو نُقص منها:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى   وكان صحيحًا جسمه وهو في أمن

فقد ملك الدنيا جميعًا وحازها   وحقٌّ عليه شكر الله ذي المنن

❁ **فأول هذه النعم**: أن يكون المرء مالكًا لقوت يومه؛ فإنَّ المرء إذا وجد قوت يومه فإنَّ تطمئن نفسه ويهنأ بعيشه، وليس المقصود مكاثرة المال وكنزه وجمعه، وإنَّما المال المكنوز في علم الله قد ينتفع به العبد وقد يأخذه وارثه، وقد تأتيه آفةٌ فتذهبه، في صحيح مسلم أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**» ولذا فإنَّ نبيَّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أوتي جوامع الكلم خصَّ قوت اليوم بأنَّه النِّعمة العظيمة المهمة لا مطلق الكنز للمال.

❁ **وثاني أعظم النِّعم**: صحة العبد في بدنه؛ فإنَّ الصِّحة في البدن أعظم النِّعم الدنيوية، فإذا أنعم الله على عبدٍ بصحة بدنه وعافيته من الأسقام فإنَّ غيرها من النِّعم نفعٌ، حتى إنَّ العقلاء ليمتنعون من تناول بعض الملاذ والنِّعم حفظًا لهذه النعمة، وحمايةً للصحة، والأحمق من أتلف صحته، وأذهب قوته لأجل لذةٍ حاليةٍ لطعامٍ أو شراب، ولا غرو بعد ذلك أن يكون دعاء النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَّه بأن يعافيه في بدنه لأنَّها من أعظم نعم الدنيا.

❁ **وثالث أعظم نعم الدنيا إن لم تكن أعظمها على الإطلاق**: نعمة الأمة في السِّرب

فأن يأمن المرء في بيته وطريقه، وفي مقامه ومبيته على نفسه وأهله وماله لهي والله أعظم النِّعم يُنعم بها الكريم على العباد، إنَّه عند فقد الأمن تزول النعم الدنيوية الباقية، وإن

وُجدت فإنَّه لا طعم لها، لا يهنأ فاقد الأمن بنوم، ولا يلتذ بطعام، ولا يسعد بحديث، ولا ينشط لتجارة **قال علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أعجب ما في الإنسان قلبه إن ناله الخوف شغله الحزن وإن أصابته مصيبة فضحه الجزاء» من فقد الأمن إذا نام حاله الطيف، وإذا انتبه راعه السيف، لا سماء تظلُّه، ولا أرض تقلُّه، لا يجد في الخضراء مصعدًا، ولا في الغبراء مقعدًا طار قلبه من الوجل، وتوقع سوق الأجل، وصدق من قال: «لا عيش لخائف»، ولذا فإنَّ أبانا إبراهيم خليل الله عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أراد أن يدعوا لبنيه كان أول ما دعا به أن دعا لهم بالأمن في وطنهم فقال: **«ربي اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام»** وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **أعني**: نبيَّنا محمدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدعوا الله عَزَّ وَجَلَّ كثيرًا بالأمن فكان إذا رأى الهلال قال: **«اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ، وَالْإِيمَانِ»** ذلكم -أيُّها الإخوة- المستمعون الأكارم أنَّ المرء إذا أمن في سربه أدى عبادة ربِّه، وسعى في نماء تجارته وماله، وسعُد في نهاره ولم يحمل همَّ ليله، فأدوم النَّاس سرورًا الآمن قد أبدله الله بحرِّ الخوف برد الأمن، لا يلتفت وراءه مخافة، ولا يخشى أمامه آفة، قد أمن سربه، وعذُب شربه، وزال استيحاشه، وسكن روعه، وأمنت نفسه، لمَّا أراد الله أن يمتن على قريش ذكرهم بأهم نعمتين على عمومهم وهما نعمة الأمن والرخاء ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣ - ٤].

وكذا امتن الله على الأمم قبلهم من أمَّن كثمود وإخوة يوسف وسبأ وغيرهم، إنَّ المرء -أيُّها الإخوة- إذا عرف هذه النِّعم سعى لحفظها ونمائها، وعدم الإخلال بها؛ لأنَّها أعظم النعم لذا حرم الله رفع الحديث على المسلم تخويفًا، ونهى عن إتلاف المال وإفساده ولو كان قليلًا، صح عن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسند أنَّه قال: **«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ**



مُسْلِمًا».

وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ باجتماع الكلمة ولزوم الجماعة روى الترمذي أنَّ النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَمِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**» إنَّ المفارق للجماعة يكون أقرب للشيطان ووسوسته، وأبعد عن أمن الرحمان وطاعته، ولذا جاء في الحديث عند الترمذي: «**إِنَّ لِلشَّيْطانِ لَمَّةً -أي: قرب- إِنَّ لِلشَّيْطانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ: فَإِيْعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيْبٌ بِالحَقِّ**»، فالشيطان -أيها الإخوة يعد بالشر ويحث بالخوف، ويطرد الأمن، إنَّ أعظم النَّاس جرمًا من سعى لإزالة الأمن، وبث الخوف ونشر الفساد وإتلاف الأموال، قال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إياكم والفتنة فلا تهموا بها فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستئصال» وانظر يا رعاك الله لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥] كيف أنَّ الله تعالى بيَّن أنَّ أشد البلاء يكون بذهاب أحد هذه النِّعم الثَّلاث، وبدأ بأشدها على النَّفس، وأكثرها أثرًا في النَّاس وهو ذهاب أمنهم وتبدل حالهم فإنَّ في ذهابه أشد الابتلاء والضر، ونحن في بيت الله الحرام مجاورون لبيته، واطئون على ثرى أشرف بلدةٍ على وجه المعمورة، يجب على المسلم أن يتذمر هذه النِّعمة العظيمة حينما أمن الله عَزَّوَجَلَّ هذا البلد وأهله، ويستشعر ذلك ويتذكر نعماء الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وذلك من منافع الله عَزَّوَجَلَّ للنَّاس في الحج، كما إنَّه يلزمه أن يسعى قي حفظ هذه النِّعمة، وأن يسعى في رعايتها، وعدم المساس بها لا من قريبٍ ولا من بعيد، بل إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ شدَّد على من سعى في إفساد بيت الله الحرام والإخلال بأمنه في العقوبة بل جعل له أشد العقوبة إن همَّ وفكر فيه بالإلحاد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ

﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٥﴾ [الحج: ٢٥] لم يجعل الله عَزَّوَجَلَّ على أحدٍ عذابًا على همِّه إلا لمن همَّ بالإلحاد والنَّقص والتخويف في بيت الله الحرام.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق،

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (٥) .



---

(٥) نهاية المجلس الخامس.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ من منافع الحج المنافع المتعلِّقة بالقلب، وذلك أن يتأمل المرء في الحجيج، وينظر في أحوالهم وأحوال الأرض التي وطؤوها، فكم حج هذا البيت العظيم وقصده من حاجٍ قاصد، وكم زاره من تقيٍّ وعابد، وكم طاف بالبيت من أولياء الله عَزَّوَجَلَّ وأنبياء، في صحيح مسلم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مرَّ بوادٍ أزرق فقال: «**أيُ وادٍ هذا؟ فقالوا: هذا وادٍ أزرق فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: كأني أنظر إلى موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هابطًا من الثنية وله جُؤارٌ إلى الله بالتربية، ثمَّ أتى النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على ثنية هرشا فقال: أي ثنيةٍ هذه؟ قالوا: ثنية هرشا قال: كأني أنظر إلى يونس بن متى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على ناقةٍ حمراء جعدة عليه جبةٌ من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبي**».

-أيُّها الإخوة- إنَّ هذا البيت قصده وهذه المشاعر وطئ ثراها ألوفٌ مؤلفةٌ من النَّاس، وفي ذلك ذكرى لذي القلب، وتأملٌ للمتأمل في حال الدنيا وتقلُّبها، وأنَّها كانت عامرةٍ بأقوامٍ كانوا ملء السَّمع والبصر، فبادوا وأورث الله الأرض مَن بعدهم، فمن تأمل ذلك حصل له قناعة القلب بتقلُّب الدنيا وعدم بقائها، وأنَّها زائلةٌ لا محالة.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ متواطئٌ على التحذير من الدنيا والتخويف من تقليب الله فيها، فمن شبعٍ لجوع، ومن غنًى لفقر، ومن قوةٍ لضعف، ومن عزٍ لذل، ومن

أمنٍ لخوف، ومن صحةٍ لمرض، ومن حياةٍ لموت يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: ٤٥]، الدنيا ومتاعها كنبات الأرض في الصحراء بعد المطر، ما هي إلا أيامٌ وليال ثمَّ يصبح هشيما تذروه الرياح أصفر يابسًا، هذا المثال من أعجب الأمثلة إذ ما من شيءٍ أجمل ولا أنظر من الربيع في البيداء، والنبت في رياض الصحراء هي أزهارٌ مورقة، وأرضٌ معشبة، وطيورٌ واردة، وليس من رأى كمن سمع فإذا غبت عنها قليلًا وجاء الصيف رأيتها صحراء قاحلة قد أبدلت بدل الخضرة صفرة، وبعد النضرة شحوبًا فتحس بالوحشة بعد الأنس، فترى الشيء وضده وما هي إلا ليالٍ وأيامٌ فقط ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾ [الزمر: ٢١] ولعجيب شأن هذا المثال لمن تأمله وعرفه ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في أربعة مواضع من كتابه إضافةً لما سبق في قوله جَلَّ وَعَلَا أيضًا: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ [يونس: ٢٤].

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ تقلُّب الدنيا بأهلها مألوف، وإنَّ أمنها مخوف، وإنَّ سرورها مع قلَّته منغص، ونعيمها مع انقطاعه كدر، ما فرح امرؤ قطٌ فيها إلا أُعقب ما يزيله، وإنَّ الدهر لم يظهر لقومٍ بيومٍ يحبونه إلا بطَّن لهم بيومٍ يكرهونه، **قال ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لكل فرحةٍ ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا».

-أيُّها الإخوة الأكارم- لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالتفكر في حال الدنيا وتغيُّرها، والنظر في أول أمرهم ومآله لاستخلاص العبر وأخذ العظة، **قال ابن سيرين**: «ما كان ضحك قط إلا كان بعده بكاء» وقد شاهد الناس من تغير الدنيا بأهلها في أسرع ما يكون من العجائب.

-أيُّها الإخوة الأكارم- ما وقعت بالناس حادثة إلا وفي التاريخ مثلها أو أعجب قال البيهقي: «لا توجد حادثةٌ لم يحدث مثلها من قبل»، **يقول ابن الأثير**: «إنَّه لا يحدث أمرٌ إلا تقدمه أو نظيره» فالتاريخ يعيد نفسه، والحوادث تتشابه، الإنسان يتعظ بالمثل الذي ضُرب له، وبالخبر الذي يسمعه، وبالواقعة التي يُشاهدها، وممَّا نقله أهل الخبر والقصص ما جاء في قصة هندٍ بنت النعمان بن المنذر فقد قالت هندٌ بنت ملك الغساسنة النعمان بن المنذر: لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًا، ثمَّ لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن من أقل النَّاس، وإنَّه حق على الله ألا يملأ دارا حبرةً إلا ملأها عبرة ثم أنشأت:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأفٍ لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارة بنا وتصرفوا

التاريخ -أيُّها الإخوة- مليءٍ بأحاديث من هذا النوع، فالمعتمد بن عباد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد ملوك الأندلس كان يملك أموالًا طائلة وقصورًا عظيمةً شاهقة، ولمَّا اشتهت زوجه وبعض بناته أن يتخوضن في الطين أمر بالعنبر والعود فوُضع في ساحة قصره، ورشَّ عليه ماء الورد وأنواعٌ من الطيب، ثمَّ عُجن حتى صار مثل الطين فتخوضن فيه، وما ماتت تلك الأسرة المترفة حتى ذاقت طعم الفقر وألم الجوع، إذ استوى يوسف بن تاشفين على مملكة ابن عباد، وكان النسوة اللائي تخوضن في العود والعنبر لا يجدن ما يأكلن إلا من غزل الصوف

بأيديهن بما لا يسد إلا بعض جوعهم.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ العاقل اللبيب إذا تفكر في هذه الدنيا، ورأى تقلُّبها بأهلها وتتابع نكباتها لقاطنيها، وأنَّها سلبت نفوسهم وذخائرهم، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقي على جرير ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير، فإنَّه حين ذاك يزهد فيها، ويُعرض عنها، ويُقبل على التزود للآخرة منها، ويرغب في دارٍ تنزهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، وعجبت لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها» والحاج في هذه المواضع العظيمة، والمشاعر الجليلة يستشعر كم مرَّ على هذه العرصات من أناسٍ كانوا ملأ السَّمع والبصر وكانوا في أعلى درجات النعيم، ثمَّ بادوا بعد ذلك فلم يبقى من أثرهم إلا اسمه يقول ربُّنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٦ - ٩٩].

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم للجميع التوفيق والسَّداد،

وأن يحفظ علينا نعم ديننا ودنيانا،

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (٦) .



---

(٦) نهاية المجلس السادس.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها المستمعون الأكارم- إنَّ حجاج بيت الله الحرام وقُصَّادُهُ يشهدون منافع عظيمة في قصدهم هذا البيت، وهي منافعٌ دنيويةٌ ودينية، ومنها ما يثيب الله به عباده من الأجور ويضاعف لهم فيها من الثواب، ومنها ما يكون لهم من ثواب الدنيا، الذي يتحقق لهم في أبدانهم، وفي أعمارهم، وفي أقواتهم، بيد أنَّ أقوامًا منا لم يكتب الله لهم الحج، ولم ييسِّر لهم قصد بيت الله الحرام لكنَّهم مع ذلك مأجورون أجر الحجيج محصِّلون لثوابهم؛ فإنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قد أنعم على أمَّة الاستجابة من أتباع محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جعلهم الآخرين زمانًا، السَّابقين دخولًا للجنة، والأكثرين أجرًا ومثوبة قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نحن الآخرون السابقون للجنة**» لقد مثَّل لنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التقدم فضلًا مع التأخر زمانًا بمثالٍ لطيف، فقد روى البخاري عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوارة التواة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فاعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر فأوتوا قيراطا قيراطا بعد عجزهم، ثمَّ أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا؟ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: هل ضلمتكم من أجركم شيئا؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء**».

-أيُّها الإخوة الأكارم- لقد كان من الإصـــر على السَّـــابقين قبلنا أنَّهم يؤاخذون بالهم والعزم، فإذا همَّ الرَّجل بالسيِّئة كتبت عليه ولو لم يعملها، وقد خاف الصَّحابة -رضوان الله عليهم- ذلك عند نزول قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فخافوا أن يُحمَّلوا هذا الإصـــر، وأن يُعذبوا بهمهم فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ بـعـدهـا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: قد فعلت فما فرح الصحابة بشيء كفرحهم يومهم ذاك**» فحينئذٍ يعلم المسلم أنَّ من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ المرء لا يأثم على ذنبٍ همَّ به إلا أن يكون الإلحاد في الحرم، **قال ابن مســـعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من هم بســيئة لم تكتب عليه حتى يعملها وإن هم وهو بعدم أبين **أي:** يقتل عند المســـجد الحرام أذاقه الله من عـذابٍ أليم ثمَّ قرأ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]»، فرحم الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأمة بأن عفى عما همُّوا به من الآثام، بل لقد زاد فضـــله وتمَّ إنعامه عليهم جَلَّ وَعَلَا بأن أثاب المؤمن منهم على نيته الخير، ورغبته في عمل المعروف والطاعة، وهمِّه بالعمل الصَّـالح وإن لم يعمله روى الشـيخان من حديث أبي هريرة أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مئة**» فما همَّ به العبد من القول الحســـن والعمل الطيِّب فإنَّما يكتب به عمل حســـنةٍ واحدة، فإذا صار همُّه قولًا أو عمل كُتب له بها عشر حسناتٍ إلى سبع مئة ضعف بحسب صدقه مع الله ومتابعته لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

-أيُّها الإخوة- لقد كانت رحمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعباده واســـعة حين أثابهم على نياتهم

تفضلًا منه ومنَّة، فإنَّ صاحب نية الخير لاحقٌ عامل الخير بنيَّته، وصاحب نيَّة الشر لاحقٌ صاحب الشر بقصده وإرادته ورغبته، وإنَّما شرط الأجر على النِّية الصالحة أن يعزم المرء على الفعل، وإنَّما يحول بينه وبين الفعل العذر وعدم الاستطاعة كما في الخبر عن النبيَّ ﷺ عندما دنا من المدينة راجعًا من غزوة تبوك قال: «**إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر**» فؤلائك المعذورون من الصحابة أُجروا أجر المجاهدين الغازين لنيَّتهم الخير، وإنَّما منعهم العذر، وثبت عن النبيَّ ﷺ أنَّه قال: «**مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال ﷺ: فهما في الأجر سواء**» فما منع هذا الرجل من النَّفقة إلا عدم ملك المال فأثيب ثواب المتصدِّقين.

وقد يكون المانع من العمل المرض ففي الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا**»، وقد يكون المانع من العمل غلبة العين بالنوم ففي حديث عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما من امرئ تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة**» فالنِّية من المؤمن أبلغ من العمل، والخير كلُّه إنَّما يجمعه حسن النِّية وإن لم ينصب العبد.

ولذلك -أيُّها الإخوة- لمَّا علم أئمة الدِّين ذلك تواصوا بينهم بنيَّة الخير، والعزم على المعروف قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يوما: «يا أبتي أوصني، فقال الإمام أحمد: يا بني إنوي الخير فإنَّك لا تزال بخيرٍ ما نويت الخير» فيا لها من وصيةٍ ما أشدَّ وقعها وأعظم

نفعها هي وصيةٌ عظيمةٌ من أبٍ عالم لابنٍ عالم، هي سهلةٌ على المسؤول، سهلة الفهم والامتثال على السائل إذ فاعلها ثوابه دائمٌ مستمرٌ لدوامها واستمرارها.

جاء في بعض الأخبار أنَّ رجلًا جاء لمكة فطاف في المسجد الحرام وهو يسأل: «من يدلُّني على عملٍ أداوم عليه ويُرضي ربي؟ فقال له فقهاء الحرم جميعًا: جدِّد العزم دائمًا على أن تفعل الخير فإنَّ لك أجر الخير ما دمت ناويًا فعله»، فنعم السَّبيل إلى الخير نيَّة الخير، ونعم العزاء للعاجز عنه قصده، ولا شك أنَّ المؤمن يتطلَّع لأعظم الخير، وأكثر البر وإن قلَّ عمله فنيَّته أعظم من فعله، ورغبته أكثر من عمله، ولذا روِّينا في الأثر: «نيَّة المؤمن أبلغ من عمله» ولمَّا فتح الله عَزَّوَجَلَّ مكة لنبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**» **أي:** بقيت نية المرء للخير، وحرصه على أن يعمل بالطاعة ولو عجز عنها.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ المنافع التي تتحقق للحجيج بقصدهم بيت الله الحرام وما يفعلونه فيه من المناسك، وما يستشعرونه من المواقف تتحصَّل لغيرهم إن نووا الخير، وعزموا على الطاعة، وعزموا على الفعل فإنَّ المرء يُؤجر على نيَّته وإن لم يعمل، «**إنَّ أقوامًا في المدينة ما قطعتم واديا إلا كُتب لهم من الأجر مثلما لكم حبسهم العذر**»، فليحرص المسلم على نيَّة الخير، وعلى العزم على الطاعة والاجتهاد في هذه الأيام الفاضلة، وعلى قصد بيت الله الحرام.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (٧).

---

(٧) نهاية المجلس السابع.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ من منافع الحج العظيمة أنَّ العبد الصَّادق يُكثر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ طلبًا واستغفارًا، ومن مناجته جَلَّوَعَلَا علانيةً وسرًا، إنَّ من فُتح له باب المناجاة مع ربِّه يبثُّ شكواه ويكل إليه أمره، فهو من أسعد النَّاس، وأكثرهم تحقيقًا للمنافع، فإذا كنت أخي الحاج من أولائك فقد شهدت من منافع الحج موضعًا قد لا يكون غيرك قد أصابه، إنَّ أحق من شُكي إليه الحال هو الله سبحانه، وإنَّ أرجى من بثَّ له ما في النَّفس هو سبحانه، وإنَّه أقرب من نودي فأجاب، وأولى من يُخضع له ويُناد إذا ضاقت بالمرء دنياه، واشتد عليه أمره، واستغلقت أبوابها، واستحكمت حلقاتها، فلا يشكون أمره إلا لله، فإنَّه حينئذٍ سيجد من راحة البال، وتمام الحال، وحسن المآل شيئًا عظيمًا، بل لربَّما وجد من الأنس بالله أعظم من الدعاء الذي يدعوا به، **نقل ابن مفلحٍ عن بعض أهل العلم أنَّه قال:** «إنَّه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه سبحانه فيُفتح لي من لذيذ معرفته، وحلاوة مناجاته ما لا أحبُّ منه أن يُعجَّل قضاء حاجتي حتى لا ينصرف عني ذلك؛ لأنَّ النَّفس لا تريد إلا حظها».

-أيُّها الأخ الموفق- إذا قلَّت حيلتك، وضعفت قوتك، وعدمت المساعد، وعجزت عن المعاضد فلا تلقي ركابك إلا له سبحانه، ولا تنزل حاجتك إلا به، اشتك له الخلائق فهو باريها، واذكر له الضرائر والنوازل فهو مقدِّرها، فلا فرج إلا منه، ولا نجاة إلا به

سبحانه.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ الشكوى لله تعالى وحده هي طريقة الأنبياء، ومسلك الصالحين، ومنهج العقلاء، ودرب المنيبين، اسمع يا موفق ليعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما فقد ولده وعدم بصره قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [يوسف: ٨٦]، كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ في الفجر، فمر بهذه الآية في قراءته ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ [يوسف: ٨٦] فبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى سُمع نشيجه من آخر الصفوف، ولمَّا أجمع النَّاس أن يُلقوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النار ضجت عامة الخليقة إلى الله فقالوا: يا رب خليلك يُلقى في النار إأذن لنا فنطفئ عنه فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: إن استعان بكم فأعينوه وإن استغاث بكم فأغيثوه وإلا فدعوه، ثمَّ جاء ملك القطر فقال: يا رب خليلك يُلقى في النار فأذن لي فأطفئ النار بقطرة واحدة، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: هو خليلي وأنا إلهه ليس له إلاه غيري فإن استغاث بك فأغثه وإلا فدعه، فلما ألقي إبراهيم في النار قال الله عَزَّ وَجَلَّ: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم.

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما آذاه أهل الطائف، وفعلوا به ما فعلوا دعا الله عَزَّ وَجَلَّ وناجاه وناداه فقال: «**اللهم إني أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت رب المستضعفين وأنت ربي اللهم إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضبٌ علي فلا أيالي غير أنَّ عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أو أن يحل علي**

غضبك لك العتبى حتى ترضى فلا حول ولا قوة إلا بك».

ومن دعاء أخيه موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ضاق عليه الأمر وانسد عليه قدرة الخلائق فرأى البحر أمامه متلاطمًا، والعدو خلفه مدركًا فمدَّ يديه لله عَزَّ وَجَلَّ وقال: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت للمستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك» فما أجمل هذا الدعاء، وما أحقه أن يُحفظ، وأن يتأمل فيه المرء وينظر، وأن يدعوا به ولا يتركه بحال، فلا غرو بعد ذلك أن يعلِّمه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه فقد روى أبو القاسم الطبراني في المعجم الأوسط عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ جَاوَزَ الْبَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ؟ فَقَالَ الصَّحَابَةُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» **قال ابن مسعود:** «ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» **قال الشقيق الراوي عن ابن مسعود:** «ما تركتهن منذ سمعتهن من عبد الله»، **وقال الأعمش الراوي عن شقيق:** «ما تركتهن منذ سمعتهم من شقيق».

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ العبد كلُّما قوي طمعه في فضل الله عَزَّ وَجَلَّ ورحمته، وقوي رجاؤه لقضاء حاجته ودفع ثورته، زادت عبوديته له، وزادت حريته ممن سواه، كلُّما زاد تعلُّقه بالله أعرض قلبه عن الطلب من غيره ممن هو في ضعف أو إلى ضعف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨] كل من علَّق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه، أو أن يهدوه خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ما وقع ذلك في قلبه، وإن كان في الظاهر رئيسًا لهم ومتصرِّفًا بهم.

إنَّ أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ -وصلوات الله وسلامه عليهم- لم ينزلوا شكواهم بأحدٍ من الخلائق، وإنَّما أنزلوها بالخالق لم يشتكوا لأحدٍ من المأمورين، وإنَّما شكوها للآمر سبحانه، فالمشتكي طالبٌ بلسان الحال إزالة ما يضرُّه، أو حصول ما ينفعه، والعبد مأمورٌ أن يسأل ربه دون خلقه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧ - ٨]، وفي الحديث أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» لقد بلغ من شأن الصالحين أنَّه يترك بعضهم ما يظن أنَّه شكوى للخلق، مع أنَّ ما تركه جائز لكنَّه يريد أن يكمُل أجره، وألا يتعلَّق قلبه بغير الله عَزَّوَجَلَّ، قُرئ على الإمام أحمد في مرض موته أنَّ طاووس بن كيسان كره أنين المرض وقال إنَّه شكوى فما أنَّ الإمام أحمد حتى مات.

-أيُّها الأخ الحاج الكريم- وغيره ممن لم يحج بيت الله الحرام إذا نزلت بك حاجة فلا تسأل بها غير الله سبحانه، وإذا نزلت بك شكوى فلا تشتكي إلا عليه سبحانه، ولا تعلِّق قلبك بأحدٍ من المخلوقين أن ينصروك أو يهدوك، وإنَّما علِّق قلبك به سبحانه وتوكل عليه جَلَّ وَعَلَا يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠﴾ [آل عمران: ١٥٩ - ١٦٠].

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يرزقنا جميعًا العلم النَّافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (٨).

(٨) نهاية المجلس الثامن.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ من أجل المنافع التي تتحقق للنَّاس في هذا الموقف العظيم يوم عرفة، وعند شهودهم لمناسك الحج ما يقع في القلب من الإنابة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والانطراح بين يديه، والتضرُّع له سبحانه، وإنَّ من أجلِّ الأسباب لإنابة القلب في هذا الوقت استشعار المرء لذنبه وخوفه منه، واعترافه به، وبكاؤه عليه، ثمَّ بعد ذلك طلبه من ربِّه جَلَّ وَعَلَا مغفرة هذا الذنب ومحوه، وهذا وأيم الله لهو من أجل المنافع للعبد فإنَّ ابن آدم خطاء مقارفٌ للذنوب، لا يكاد يسلم منها، وإن سلم من كبارها لم يأمن من غبارها.

جاء في الحديث القدسي أنَّ ربنا جَلَّ وَعَلَا يقول: «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مِنْ عَافَيْتُ**» فما من آدميٍّ إلا وقد أذنب، ولكن الله يعفوا ويغفر لمن شاء، بيد أنَّ النَّاس يختلفون في نوع الذنب وكثرته، فمن النَّاس من يقع في أعظمها وهو الشِّرك، ومنهم من يقع في الموبقات، ومنهم من يقع في سائر الكبائر، ولا يكاد يسلم من الصغائر أحد، كما أنَّ من النَّاس من يُسرف في المعصية ويكثر منها أو يجاهر بها ويُعلن، ومن النَّاس من يكون دون ذلك أو وسط، إذا عرف العبد ذلك اعترف بذنبه وتذكره وأقرَّ به، والمراد باعترافه بذنبه اعترافه بذنبه بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ وليس أمام النَّاس بالتحدث أمامهم، وإنَّما يكون ذلك في مناجاته لربِّه سبحانه ودعائه له، وحال محاسبته لنفسه.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ النَّفس إذا طالعت عيبها، وأقرَّت بذنبها، ورجعت إلى ربِّها معترفة أوجب ذلك لها الذل والانكسار لله الواحد القهار، وألجأتها للتوبة والافتقار للعزيز الغفار فلا يرى المرء نفسه إلا مفلسًا مفتقرًا لله، لا يرى لها حالًا ولا مقامًا ولا سببًا تتعلَّق به إلا مغفرة الله ورحمته فلا عمل له يدلي به، ولا وسيلة يمن بها بل يدخل على الله جَلَّ وَعَلَا من باب الافتقار الصِّرف، والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدم، وشملته من كلِّ جهاته فلكلِّ ذرةٍ من ذرات جسده الظاهرة والباطنة فاقةٌ تامة وضرورةٌ كاملةٌ إلى ربه تبارك وتعالى، وإن تخلى عنه ربُّه طرفة عينٍ هلك وخسر خسارةً لا تجبر إلا أن يعود لله عَزَّوَجَلَّ، ويتداركه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برحمته.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ اعتراف العبد بذنبه، وإقراره به بين يدي ربِّه سببٌ لمغفرة ذنبه ومحوه يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢] فجعل الله اعترافه بذنبهم سببًا لمغفرة ذنوبهم إن عملوا صالحًا، لذا كان نبيُّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يُقدِّم بين يدي دعائه اعترافًا بذنبه، كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ حِينَ يُمْسِي: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ. أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ. أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»** قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ قَالَهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»** وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَبُوءُ بِذَنْبِي» أي**: أقرِّ به وأعترف وهذا الدعاء دعاءٌ عظيم، ولذلك سمى النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الدعاء بسيِّد الاستغفار لما حواه من معانٍ منها اعتراف العبد بذنبه.

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ الاعتراف بالذنب شرط قبول التوبة، فلا تصح توبةٌ إلا بثلاثة شروط: الإقرار بالذنب والنَّدم عليه، ثمَّ الاقلاع عنه، ثمَّ العزم على عدم العود إليه، فالاعتراف بالذنب والاقرار به شرطٌ لصحة التوبة، ومن لم يعترف بذنبه وتقصيره فليس بتائبٍ على الحقيقة.

-أيُّها الإخوة- إنَّ الاعتراف بالذنب سببٌ لقبول العبادات، ومن أجلِّها الدعاء والقيام في عرفة وغيرها، فمن قدَّم بين يدي الله اعترافًا بنعمته عليه سبحانه واقرارًا بذنبه وتقصيره اتجاهه معترفًا بهذا وذاك، فإنَّ ذلك أحرى بإجابة دعائه، روى الترمذي بإسنادٍ صحيح أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت: **«لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»** لم يدع بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قط إلا استجاب الله له، فذو النون عَلَيْهِ السَّلَامُ قدَّم بين يدي دعائه أن أقرَّ بذنبه حينما قال: **«إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»** وفي الصحيحين عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُوا بِهِ فِي صَلَاتِي فَقَالَ** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»** فعلَّم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبه أن يقول في صلاته هذا الدُّعاء الذي يتضمن الإقرار بالذنب والاعتراف به، ولا يكون إقرارٌ إلا باستشعارٍ للذنب ومعرفةٌ لخطره وسوئه.

-أيُّها الإخوة- لقد أقرَّ أنبياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلُّهم بالذنب بين يدي ربِّهم، وكذلك دأب المؤمنين بعدهم في الصحيح **أعني**: صحيح مسلم من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا قام إلى الصلاة قال: **«وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ**

لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي المقابل فإنَّ عدم الاعتراف بالذنب وهو دأب أهل النِّفاق قال الشيخ تقي الدِّين –عليه رحمة الله-: «من لم يعترف بذنبه كان من المنافقين»؛ لأنَّه باعترافه يخرج من حدِّ النِّفاق؛ لأنَّ المنافق هو الذي يستبطن الكفر ولا يظهره، فترى من هذه صفته يعمل الذنب بعد الذنب، ولا يراجع نفسه ولا يقرُّ بخطيئته يلتمس لنفسه المعاذير، ويكابر عن الخطأ، ويترفع عن الإنابة والإقرار لربه، بل لربَّنا بحث عن الرخَص والمعايير وتتبع شواذ أهل العلم؛ لأنَّ يظن أن ذلك نافعًا، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، أهل المعاصي الذين ختم الله على قلوبهم لا يعترفون بذنب، ولا يقرُّون بمعصية حتى وهم يناقشون الحساب يوم القيامة قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨﴾ [النحل: ٢٨] فكابر أولائك وعاندوا وأنكروا أنَّهم يعملون السوء والخطأ حتى وهم يناقشون الحساب، وهؤلاء القوم لن يعترفوا بذنوبهم حتى يروا عذاب جهنم عيانا، ويتأكدوا من وقوعهم فيها فيعترفون حين ذاك رجاء الخروج منها قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١﴾ [غافر: ١١] **أي**: فهل سنخرج من النار بهذا الاعتراف بذنبنا، وذلك أنَّهم لم يعترفوا إلا حينما دخلوا النَّار واستيقنوا العذاب فكان الجواب: كلا وأنا لهم ذلك وقد تأخر اعترافهم بذنوبهم.

-أيُّها الإخوة الأكارم- من حجاج بيت الله الحرام إنَّ هذا المشهد العظيم إنَّ أول ما يفعله المسلم فيه قبل دعائه واستغفاره ربه أن يقرَّ بذنبه، وأن يستشعر ما وقع فيه من نقصٍ




وتفريط، ثمَّ ينطرح بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ بالسؤال.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يوفقنا جميعًا لما يحبه ويرضاه وأن يغفر لنا ذنوبنا وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [٩] .



---

(٩) نهاية المجلس التاسع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ من إنعام الله عَزَّوَجَلَّ على العبد إنعامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه بوصوله لبيته الحرام، ثمَّ تيسيره له أداء مناسك الحج والعمرة، ومن تحقق له ذلك فلهيَ النِّعمة العظيمة، والمنَّة الجليلة منه سبحانه التي لا يشعر بها إلا المؤمن الحق، إذ يسر الله عَزَّوَجَلَّ له قصد بيته والانطراح بيد يديه، والإنابة له ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فأعظم منفعةٍ من منافع الحج يُحصِّلها العبد في هذه الأيام أن يدرك الحج ويدرك هذه الأيام وهو بمكة متلبسًا بالنسك، ومنشغلًا لسانه بذكر الله والتلبية، وإنَّ ذلك وأيم الله لمن لطف الله به وإحسانه إليه يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: ١٩].

۞ -أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ الله لطيفٌ لطُف علمه حتى أدرك الخفايا والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور، الله عَزَّوَجَلَّ لطف بأوليائه وأصفيائه فيسرهم لليسرى، وجنَّبهم العسرى، وسهل لهم كلَّ طريقٍ يوصل إلى مرضاته وكرامته، وحفظهم من كلِّ سببٍ ووسيلةٍ توصل إلى سخطه من طرقٍ يشعرون بها ومن طرقٍ لا يشعرون، ولذلك اقترن اسمان له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسم اللَّطيف مقترنًا باسم الخبير في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في أكثر من موضع، ولو تأمل العبد لطف الله به، ولطفه سبحانه بخلقه لتتابع فكره وما انقضى عجبه، فإنَّ من لطف الله بعباده المؤمنين أنَّه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من

الظلمات إلى النُّور، ومن ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.

❁ **من لطفه سبحانه بعباده** أن يقدِّر للعبد منهم أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والعلم، وأهل التقى والإيمان، وأن ينشأ بين أهل الخير؛ ليكتسب من أدبهم وتأديبهم؛ ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم، كما امتن الله عَزَّوَجَلَّ على مريم في قوله سبحانه: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] فإذا نشأ المرء بين أبوين صالحين وأقارب أتقياء أو في بلد صلاحٍ السُّنَّة فيها ظاهرة، أو وفقه الله لمقارنة أهل الخير وصحبتهم فإنَّ هذا من أعظم لطفه سبحانه بعباده.

❁ **من لطيف لطفه جَلَّوَعَلَا بعباده** إذ أهَّل عبدًا من عباده للمراتب العالية والمنازل السَّامية التي لا تدرك بالأسباب العظام أي: يقدِّر له سبحانه في ابتداء أمره بعض الأسباب ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، وللتمرَّن نفسه، ويصير له ملكةٌ من جنس ذلك الأمر، وهذا كما قدَّر لموسى ومحمد عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ في ابتداء أمرهم رعاية الغنم؛ ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية ابن آدم ودعوته وإصلاحه.

❁ **من لطيف لطفه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ** أن يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات، فينجذب ويرغب بها ويصير له ملكةٌ قويةٌ بعد ذلك على طاعةٍ هي أجل منها وأشق، لما وجد في الأولى من حلاوتها.

❁ **من لطيف الله عَزَّوَجَلَّ** بعبده أن يفتح له بابًا من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلَّة رغبته فيه وإنَّما هو غفلةٌ منه وذهولٌ عن الطريق، فلم يشعر ذلك العبد إلا

وقد وجد في قلبه الداعي إليه، فيفرح بذلك ويعرف أنَّها من ألطاف سيِّده جَلَّ وَعَلَا، وطرقه التي قيَّض وصولها إليه، فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره، وأدرك منها ما شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

۞ **من لطفه سبحانه** أنَّه يرحم المؤمنين من طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء فيوفقهم لنهي النَّفس عن الهوى ويصرف عنهم السوء والفحشاء، فتوجد أسباب الفتن وجواذب المعاصي وشهوات الغي، فيرسل الله عليها برهان لطفه، ونور إيمانهم الذي منَّ به عليهم فيدعونها مطمئنين لذلك، منشرحةً لتركها صدورهم، وألطف من هذا أي يقدِّر الله تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها، وهو تعالى يعلم أنَّه لا يفعلها ليكون تركه لتلك المعاصي التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات ومن أجل الأسباب الجالبة لرضوان الله، كما كان لطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مراودة المرأة له ثمَّ حفظه الله منها.

۞ **من لطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعبده الحبيب عنده إذا مالت نفس العبد مع شهوات العبد الضارة واسترسلت في ذلك أن ينقصها عليه، ويكدِّرها ألا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدَّرات محشوًا بالغصص لئلا يميل معها كل الميل.

۞ **من لطف الله تعالى** بعباده أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سببًا لرحمته، فيفتح له عند وقوعه فيها باب التوبة والتضرع والابتهال إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثمَّ بعد ذلك يُفتح له باب ازدراء نفسه واحتقارها وزوال العُجب والكِبر من قلبه ما يكون خيرًا له من كثيرٍ من الطاعات.

❁ **من لطفه سبحانه** بعباده أن يقدِّر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم فقد يريدون شيئًا وغيره أصلح فيقدِّر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفًا منه سبحانه وبرًا، وكم لله عَزَّوَجَلَّ من لطفٍ وكرم لا تدركه الأفهام ولا تتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوبٍ من مطالب الدنيا من ولايةٍ ورياسة، أو تجارةٍ أو زواج، أو سببٍ من الأسباب المحبوبة، وطمُحت نفسه لها فيعلم الله عَزَّوَجَلَّ أنَّها تضرُّه وتصدُّه عما ينفعه، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمةً من الله به، ولطفًا منه جَلَّوَعَلَا إليه لئلا تضرُّه في دينه، فيضل العبد حزينًا من جهله وعدم معرفته بربِّه ولطفه، ولو علم ما ادُّخر له في الغيب وأريد إصلاحه لحمد الله وشكره على ذلك، وكان لهذا الرضا بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل المقربة له سبحانه.

❁ **من لطف الله** بعبده أن يجعل رزقه حلالًا في راحةٍ وقناعة يحصل له به المقصود ولا يشغله عما خُلق له من العبادة والعلم والعمل، بل يكون ذلك الرِّزق الحلال معينًا له على العبادة والعلم والعمل ويفرِّغه ويريح خاطره وأعضائه.

❁ **من لطف الله** بعبده المؤمن الضعيف أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تُضعف إيمانه وتنقص إيقانه، كما أنَّ من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ثمَّ يعينه جَلَّوَعَلَا عليها فيزداد بذلك إيمانًا، ويعظم أجرهما فكانت المحن التي يكرهها وتشق عليه هي عين صلاحه، والطريق إلى سعادته فسبحان الله اللطيف في ابتلائه وعافيته، وفي عطائه ومنعه وكلُّ ذلك بحكمةٍ منه.

اللهم الطف بنا في قضائك وبارك لنا في قدرتك حتى لا نحبَّ تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجَّلت.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (١٠) .



---

(١٠) نهاية المجلس العاشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- إنَّ ممَّا يتأكد على حاج بيت الله الحرام غض بصره عمَّا حرم الله، وإغضاؤه منه وذلك أيُّها الإخوة أنَّ لحرمة المكان والزمان والأشخاص ما يؤكد على ذلك ويعظم من شأنه، كما أنَّ في تزاحم النَّاس واختلاط بعضهم ببعض ما قد يُفضي إلى التَّساهل في اللِّباس أو التَّساهل في إطلاق النَّظر، ولذا جاء عن نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التأكيد على غض البصر في الحج خصوصًا، وفي يوم عرفة أيضًا حيث مجمع الحجيج، وبيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ من غض بصره في هذا الموضع وفي هذا الزمان والمكان فإنَّ الله يغفر لهى ذنبه، روى الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان فلانٌ رديف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة قال: فجعل الفتى يلاحظ النِّساء وينظر إليهن وجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصرف وجهه بيده من خلفه مرارًا قال ابن عباس: وجعل الفتى يلاحظ إليهن فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا ابن أخي إنَّ هذا يومٌ من ملك فيه سمعه، وبصره، ولسانه، غُفر له»**.

-أيُّها الإخوة- إنَّ من منافع الحج تدريب النَّفس على الغض من البصر وحفظه فإنَّ كثيرًا من النَّاس بل من أخص خواصهم قبل عوامهم يستصغرون بعض اللَّمم، ويتهاونون ببعض الأمور وهي عظائم ويستسهلون بهيِّنها، وربَّما جرَّت إلى كبائر، وقد قيل:

وإنَّ ممَّا يتسامح فيه كثيرون رجالًا ونساءً إطلاق البصر والنَّظر للجنس الآخر، وقد جاء الأمر في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ بالأمر بالغض من البصر فقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

وقد جاء أنَّ خطيئة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ هي ذاك قال سعيد بن جبير: «إنَّما كانت فتنة داود النظر» ولكن عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام تاب وأناب ولم يتمادى فيه قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥] هذا الذنب -أيُّها الأكارم- قلَّ من يسلم منه، فقد روى الشيخان أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدِّق ذلك ويكذبه**».

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ غض البصر عن الحرام يورث ثباتًا في القلب، وسرورًا لصاحبه، وانشراحًا دائمًا، ورضًا بالمقسوم روى الحاكم وأحمد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَةَ اللهِ أَعْطَاهُ اللهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ**» غض البصر سببٌ للحفظ من الشيطان؛ لأنَّه من أشدِّ مغالبة النَّفس، **قال مالكُ بن دينار**: «من غلب شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله» وكان عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «النظر يزرع في القلب الشهوة وكفى بها

خطيئة» غض البصر أيُّها الأكارم يمنح القلب إشراقًا ونورًا يظهر في الوجه، وعلى سائر الجوارح، ولذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ آية النور بعد الأمر بغض البصر: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: ٣٥] إنَّ غض البصر -أيُّها الأكارم- يورث أنسًا بالله، ووحشةً عما سواه، وفراسةً صادقة قال الكرماني: «من عمر ظاهره لاتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشَّهوات وغض بصره عن المحرَّمات، واعتاد أكل الحلال لم تخطأ فراسته أبدًا».

في المقابل فإنَّ الشريعة جاءت بالنهي عن إطلاق البصر سدًا للذرائع، وحسمًا للمفاسد التي تتحقق عند إطلاق البصر روى أبو داوود والترمذي وحسنه أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: **«يا عَلَيُّ لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»** فمن الذرائع التي سدَّها الشرع بالمنع من النظر المحرم، أنَّ الرجل إذا أطلق بصره فإنَّه يزدري نعمة الله عليه ويتقال ما أعطاه الله من الحلال، إذ النَّفس قد جُبلت على التشوف إلى ما منعت منه، والإعجاب بمنا حُجبت عنه، فأمر الشَّرع بغض البصر فيه حفظٌ للأسرة المسلمة ومراعاةٌ لذيمومة الوئام بين أفرادها، وانظر لهذا المعنى في كلام النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقد روى الشيخان أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: **«لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»** فنهى النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن تصف الزوجة جمال امرأةٍ أخرى أمام زوجها حتى كأنَّه ينظر إليها حتى لا يقع في نفسه إعجابٌ بالمرأة الثَّانية فيستنقص زوجته ويتقالَّ ما عندها، وذلك سدًا للذريعة، فمن باب أولى منع الرجل من

نظره لتلك المرأة، **قال أبو الحسن القابسي**: «هذا الحديث من أبين ما تُحمى به الذرائع نهى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تباشر المرأة المرأة وأخبر أنَّ ذلك قد ينتهي بها على أن تصف لزوجها ما رأت منها صفةً تقوم مقام نظره إليها لعلَّ ذلك يُدخل في قلب زوجها من الموصوفة فتنة، فيكون ذلك سببًا في طلاقه لزوجته ونكاحه للأولى أن كانت أيِّمة، وإن كانت ذات بعلٍ كان ذلك سببًا لبغض زوجته، ونقصان منزلتها عنده، وإن وصفتها بقبيح كان ذلك غيبة» انتهى كلام القابسي.

-أيُّها الأخ الكريم- إنَّ كثيرًا من المشاكل الزوجية إنَّما سببه المقارنة بين أحد الزوجين وغيره في المنظر والمال وغيره، وليس ذلك من العقل في شيء بل ولا في الشَّرع، ولذلك قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١ - ١٣٢] فالعاقل من امتثل أمر الله تعالى، والتزم شرعه فإنَّه يهنأ في حياته، ويؤجر بعد مماته.

-أيُّها الأخ الكريم- إنَّ غض البصر علامةٌ على كمال القنوت وعلى كمال الإنابة لله جَلَّ وَعَلَا كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال مجاهد بن جبر: «من القنوت الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عَزَّوَجَلَّ» وإنَّ أحق المقام بالقنوت عند أداء العبادات كالصلاة والحج فأحق من غض بصره ولم يطلقه من كان في بيت الله الحرام، وكان متلبِّسًا بأحد المناسك أو في منتهاها فإنَّه يحرص على غض بصره، وخاصةً إذا تساهل النَّاس في اختلاطهم ولباسهم.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظنا من مضلات الفتن وأن يوفقنا لما يحبُّه ربُّنا ويرضاه،





وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [١١] .



(١١) نهاية المجلس الحادي عشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها المستمعون الأكارم- إنَّ من أجلِّ منافع الحج ما يجده العبد في قلبه من لذة العبادة والأنس بالمناجاة، وحلاوة الطاعة، والإقبال على الله تعالى، حتى إنَّ العبد ليأنس بالمشاق، ويلتذ بالمتاعب إذ الحلاوة في القلب والراحة للروح.

-أيُّها الأكارم- إنَّ لأهل الطاعة مقاماتٍ يقومونها، وحالاتٍ يحيونها لها من اللَّذة وفيها من السَّعادة ما لا يوصف، تمرُّ ساعاتٌ وكأنَّها لحظات يلجؤون إلى الله ويجأرون إليه، ويلوذون ببابه، ويستعيذون بجنابه، تلكم هي الحياة، وذلكم السَّعادة الحقة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] **قال قتادة:** «الحياة الطيِّبة في الدنيا قبل الآخرة» إنَّ المؤمن يلتذ بالطاعة ويسعد بالعبادة، ويأنس بالمناجاة لله ربِّ العالمين يقول النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»** وروى البيهقي في الدلائل أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل بشعبٍ فقال: **«من يحرسنا الليلة؟ فقام رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار فبات بفم الشعبي فاقتسم الليلة للحراسة فنام المهاجري وقام الأنصاري يصلي، فجاء رجلٌ من العدو فرأى الأنصاري فرماه بسهمٍ فأصابه فنزعه الأنصاري من قدمه واستمر في صلاته، ثمَّ رماه بثانٍ فصنع به كذلك، ثمَّ رماه بثالثٍ فانتزعه ثمَّ ركع وسجد وقضى صلاته ثمَّ أيقظ رفيقه فلمَّا رأى ما به من الدِّماء قال له: لما لا نبهتني أوَّل ما جاءك الرمي**

قال: كنت في ســورة فأحببت ألا أقطعها» **وقال إبراهيم بن أدهم**: «نحن في العبادة في لذةٍ لو علم عنها أبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف» ، **وقال أبو سليمان الداراني**: «ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثمَّ تركها كيف صبر عنها»، وقال: «لو لم يبكي العاقل في ما بقي من عمره إلا على ما فاته من لذة الطاعة في عمره لكان يكفيه أن يبكيه ذلك حتى يخرج من الدنيا».

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ لذة الطاعة وأنس المناجاة، وســعادة القلب لا تحصــل بالتمني ولا تنال بالترجي، وإنَّما ينالها المرء بالعمل الدؤوب وإصلاح السرائر، وإخلاص العبادة لله تعالى فهذه أســبابٌ ثلاثة من عُني بها ورعاها كان ممن أنعم الله عليه بحلاوة الإيمان وسعُد بلذة الطاعة والإحسان:

❁ **فأولها**: الإخلاص لله تعالى بالعبادة وتطهير القلب من الشِّــرك والوثنية والرِّياء والسُّــمعة، وعدم الإعتماد والتوكل والاســتغاثة والاســتعانة إلا به ســبحانه، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا»**، وروى أبو داود عن عبد الله بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثَةٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَعَلِمَ أَن لا إِلَهَ إِلَّا الله»** فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعمه أمرٌ يعرفه من حصــل له هذا الوجه وهذا الذوق، فالذي يحصــل لأهل الإيمان عند تجريد التوحيد يجذب قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سـواه بحيث يكونون حنفاء لله مخلصـون له الدين، وهذا هو حقيقة الإسـلام الذي بعث الله به الرُّســل، وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه [..] قال الشـيخ تقي الدين: «من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم من الشِّدة والضر فيلجِئهم إلى توحيده،

فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحدًا سواه، فتتعلَّق قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من التوكل عليه، والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشِّرك ما هو أعظم نعمةً عليهم من زوال المرض والخوف أو الجذب أو الضر»، وكذلك -أيُّها الإخوة- ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين، فإنَّه أعظم من أن يعبِّر عنه مقال، ولكن ولكلِّ مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّه ليكون له إلى الله حاجة فيدعوه سبحانه فيُفتح له من لذيذ معرفته، وحلاوة مناجاته ما لا يحبُّ منه أن يُعجَّل قضاء حاجته حتى ينصرف عن ذلك؛ لأنَّ النَّفس لا تريد إلا حظها وقد قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَبِيًّا**».

❁ **والسَّبب الثَّاني**: -أيُّها الإخوة- لنيل حلاوة الإيمان: الاستمرار على العمل الصالح، وعدم الانقطاع عنه، في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «**مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: هَذِهِ فُلَانَةُ، فَذَكَرْت مِنْ صَلَاتِهَا فَقَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**» وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] فلا تنال الحياة الطيِّبة واللذة في العبادة إلا بهذين الشَّرطين العمل الصالح والاستمرار عليه والإخلاص لله تعالى وذلك معنى الإيمان قال ابن المبارك: «جاهدت نفسي في قيام الليل عشرين سنة فارتاحت عشرين سنة والتذت بذلك»، **وقال ابن المنكدر**: «كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت» **أي**: حتى استقامت على العمل ووجدت الأنس فيه.

❁ **والسـبب الثَّالث**: -أيُّها الإخوة -لتحصـيل لذة العبادة والطاعة: العناية بعبادات السِّـر واجتناب معاصـي الخلوات التي لا يطلع عليها إلا الله عَزَّوَجَلَّ فمن أصـلح سـريرته أصـلح الله علانيته، ومن اجتهد في العبادة في السِّـر وجد لذتها حين ذاك لذا كان من أعظم العبادة التي يجد فيها المؤمن راحته ولذته قيام الليل، **قال الفضـيل بن عياض**: «ألا إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة قيل: وما هي؟ قال: قيام الليل» فلا بدَّ من إصـلاح السـرائر ومراقبة الله جَلَّوَعَلَا في العلانية والخفاء فكم من امرئ قد جدَّ وسـعه في بعض الطاعات ثمَّ لم يرى أثرًا للذتها، ولم يجد رسـمًا لها في نفسـه وروحه وإنَّما حُرمها بـذنوب الخلوات، ومعصـية النظرات والخطرات فـإنَّ الله ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩].

❁ **فأمَّا الخطرات** فقد روى الشيخان عن أنس أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

❁ **وأمَّا ذنوب النظرات** فروى الحاكم عن ابن مسـعود أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَةَ اللهِ أَعْطَاهُ اللهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتُهُ فِي قَلْبِهِ**» وفي البخاري عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «**يُنْزَعُ مِنْهُ نُورُ الإِيمَانِ فِي الزِّنَا**» فمن حُرم لذة العبادة والأنس بالطاعة فهو المحروم، **يقول الشـيخ تقي الدين رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى**: «إذا لم تجد حلاوة في قلبك وانشـراحا فاتهم نفسـك فإن الرب شـكور ولا بد أن يثيب للعامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوةٍ وانشـراحٍ وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول، والقصـد أنَّ السـرور بالله قربة وقرةٌ العين، تبعث على الازدياد من طاعته،

وتحث على الجد في السير إليه» انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وما حريٌّ بالحاج إلا أن يتذكر ذلك وأن يقيس عليه عمله في هذه الأيام وقد تقرَّب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بأفضل القربات وهي قصد بيته والتمسك بالمناسك التي شرعها الله له، وقد ثبت عند أبي داوود من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رافدة عليه كل عام ولا يعطي الهرمة ولا الدرمة ولا المريضة ولا الشرط اللئيمة ولكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرِّه»**.

أسأل الله العظيم أن يرزقنا جميعًا العلم النَّافع والعمل الصالح،

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد [١٢].



---

(١٢) نهاية المجلس الثاني عشر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة الأكارم- يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢] فأمر الله جَلَّ وَعَلَا في هذه الآيات عند انتهاء المناسك وانقضائها أن يذكر العبد ربَّه جَلَّ وَعَلَا، ولا شك أنَّ ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في هذا الموضع من المنافع العظيمة التي يفعلها العبد قربةً لله عَزَّ وَجَلَّ وزلفا.

-أيُّها الإخوة- إنَّ ذكر الله جَلَّ وَعَلَا الذي أمرنا الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به عند انقضاء المناسك وانتهائنا يشمل أمورًا متعدِّدة:

☜ **أحدها:** ذكره سبحانه بالثَّناء عليه، والتعظيم لجنابه وذلك بالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد له سبحانه، وهذه الكلمات الأربع هي أحب الكلام إليه جَلَّ وَعَلَا، وهي الباقيات الصالحات التي تبقى للمؤمن ذخرًا له في الآخرة، وأفضل الذكر ما واطأ القلب فيه اللِّسان لا مجرَّد ذكر اللِّسان وحده، وصفة أن يواطئ القلب اللِّسان **أي:** إذا ذكر العبد ربَّه جَلَّ وَعَلَا بلسانه أن يستشعر القلب هذه المعاني في هذه الألفاظ، فإذا سبَّح الله عَزَّ وَجَلَّ بلسانه

استشعر بقلبه معنى التسبيح واستحقاق الله عَزَّوَجَلَّ له، وإذا كبر الله عَزَّوَجَلَّ استشعر معنى هذه الكلمة كما قال النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعدي بن حاتم: «**يا عدي أتعلم ما معنى الله أكبر؟ فقال: الله ورسوله أعلم، قال: معناه أنَّ الله أكبر من كل شيء**» ومثل ذلك يُقال في تحميد الله عَزَّوَجَلَّ، وفي تهليله جَلَّوَعَلَا واستحقاقه للعبادة.

☜ **ومن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ** المأمور به العبد ذكر الطلب والدعاء، فإنَّ الدعاء عبادةٌ له سبحانه، وقد ثبت عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**».

✵ **ومن أسباب قَبول الدُّعاء** وهو ذكر الطلب أن يكون بعد طاعة، وأن يكون مقدَّمًا بين يديه أمرٌ يحبُّه الله جَلَّوَعَلَا، وذلك كحال الحجيج في هذه الأيام عندما حجوا بيت الله عَزَّوَجَلَّ وقصدوه، وقدَّموا طاعةً لله عَزَّوَجَلَّ لا يفعلها إلا قليلٌ من أهل الأرض فليس كل النَّاس حاجًا هذه الأيام وإنَّما بعضهم دون بعضهم، ولذلك فإنَّ هذه الطاعة يُرجى بها ذهاب ذنوب الحجيج قال إبراهيم النخعي رحمة الله عليه كانوا يقولون: «صافحوا الحجيج قبل أن يتلبسوا بالذنوب» فالحاج بعد قضائه مناسكه إن تقبل الله عَزَّوَجَلَّ نسكه فهو حريٌّ أن يستجاب دعائه، وأن يُحقق له طلبه ما لم يعتدي في دعائه.

☜ **ومن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ** ذكره بتلاوة كتابه واللَّهج بترتيله آناء الليل وأطراف النهار، وقد جاء من حديث أبي سعيد أنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسَاءلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ**»، وأعظم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هو قراءة كتابه، وليكن المسلم بعد قضاء نسكه دائبًا على كتاب الله جَلَّوَعَلَا، ولا يكون حاله قبل الحج وبعده سواء، بل يلزمه أن يُكثر من قراءته وأن يتغير حاله في الانكباب على هذا الكتاب العظيم، فإنَّ هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد كما جاء في حديث حارث

الأعور عن علي عند الترمذي.

☜ **ومن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ** الذي يستحب فعله ويُستحب ختم العمل به على الخصوص: الاستغفار فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يحب الاستغفار من حبيبه، ويحب إنابتهم وطلبهم العفو منه، جاء في حديث سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار**» فالاستغفار سببٌ لمرضاة الله جَلَّ وَعَلَا، وقد شُرع الاستغفار بعد الانتهاء من العبادات، فإن كانت العبادة ذكرا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوا كان كفارةً لها فاستغفار العبد بعد عمله الطاعة إقرارٌ منه بقلَّة عمله وحاجته لمغفرة ربِّه وهي إقرارٌ منه بقصوره وقلة حيلته، وأنَّ العبد مهما اجتهد في الطاعة وبذل في التعبد لله، فإنَّه مقصر ولا بد، فلا بدَّ من سهو ونسيان وغفلةٍ وقصور يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ [المزمل: ٢٠] فأمر الله عَزَّوَجَلَّ بالاستغفار بعد هذه الطاعات كلِّها وكذلك الحج، وقد أمر الله بالاستغفار بعد الإفاضة من عرفات والمشاعر الحرام خاصة فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩] كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالاستغفار بعد الحكم بين النَّاس في الخصومات فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٦﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٦] وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انفتل من صلاته استغفر الله ثلاثا قبل أن يتحول من مكانه، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا قام من مجلسه ختمه بالاستغفار روى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذاك سبحانك اللهم**

وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذاك».

وقد شُرع الاستغفار كذلك في ختام العمر، وفي حالة الكبر فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيِّه عند اقتراب أجله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١ - ٣] وكذلك بعد صيام رمضان وقيامه فإنَّه يُختم الاستغفار كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم أن يختموا صيام رمضان بالاستغفار والصدقة **يعني**: صدقة الفطر قال: «والاستغفار ترفع ما تخرق باللغو في الصيام والرفث».

-أيُّها الإخوة الأكارم- إنَّ الاستغفار جالبٌ للخير، دافعٌ للشر قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [هود: ٣] وقال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وقال هود: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾ [هود: ٥٢].

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يغفر للمسلمين عموما وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (١٣) .



(١٣) نهاية المجلس الثالث عشر.


فوائد